المحاضرة الثالثة: المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارات القديمة

التاريخ القديم اصطلاح واسع، تضم مادته أحداثا كثيرة، مضى عليها الزمان وانقضت قرون وعصور، وانطمست معالم المكان والأشياء وأصبح من الصعب بل يستحيل على غير المتخصص أن يستنتج أي شي في غياب الدليل الأثري القاطع. ولا يمكن الاعتناء بما كتبه البعض من انطباعات أو ما سجله من مواقف وأحداث لأن ذلك لن يخرج عن كونه وجهة نظر شخصية إلا فيما ندر، حيث يتجرد الكاتب من عواطفه وميوله، ويعرض الموضوع من جوانبه المختلفة ملقيا الضوء على أبعاده الإيجابية والسلبية على السواء وليس على جانب واحد فقط، ذلك يعبر عن رأيه الشخصي ويخدم مصالحه هو فقط أو مصالح من يخدمهم قلمه.

إن تاريخ شعب من الشعوب، يختلف في بدايته ونهايته من منطقة إلى أخرى، كنتيجة طبيعية لاختلاف مقومات الشعوب ومدى الإنجاز الحضاري الذي خلفته نهضتها، ثم تبعا لظروف المنطقة التي قامت عليها مراحل ذلك التاريخ القديم ووقعت أحداثه، ولهذا نجد أن التاريخ الفرعوني (المصري القديم) يبدأ في فترة تختلف عن بداية التاريخ اليوناني القديم كما تختلف بداية التاريخ الروماني القديم من كل من التاريخين السابقين. وهذا شي منطقي جدا ويؤكد على خصوصية كل حضارة وتفردها عن غيرها بسبب خصوصية كل مقومات تلك الحضارة وتميزها الواضح عن الأخرى. نفس الشيء يمكن أن يقال عن عوامل تدهور وانهيار ونهاية كل حضارة من الحضارات السابقة الذكر وكيف أنه طولا وقصرا وتعليلا.

بهدف التعرف على مختلف جوانب الحضارات القديمة –لأن تاريخ أي منطقة ليس تاريخ أفراد بل تاريخ مجتمع بأكمله، بأفراده وطبقاته– لابد من الإحاطة بما تم الكشف عنه من شواهد مادية ذات دلالة، وبما كتبه الفرد بكل أطيافه، من مؤرخين، خطباء، شعراء، فلاسفة، فهي مجتمعة تحمل مؤشرات عن الجانب السياسي والتكوين الحضاري لبلاد الإغريق، وعن الحياة الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم، وقبل كل شيء عن التركيبة البشرية للمجتمعات في الحضارات القديمة، والأنشطة الاقتصادية التي يمارس الفرد، هذا فضلا عن الوضع الثقافي والفني والديني الذي ميز المنطقة، وبالتالي يمكن تقسيم مصادر دراسة الحضارات القديمة حسب أهميتها ودلالتها إلى قسمين هما:

أولا/ المصادر الأثرية "المادية":

1/ مفهوم المصادر المادية: ويقصد بالمصادر غير الأدبية – الأثرية "المادية"– مختلف أنواع الوثائق: الآثار، والنقوش، والمسكوكات، وأوراق البردي، وغير ذلك من المواد التي يمكن التدوين عليها الشقف (ostraca) ، واللوحات المصنوعة من الخشب أو البرونز أو المطلية بالشمع، والبطاقات (tesserae) المستديرة أو المستطيلة

المصنوعة من الرصاص أو العاج أو العظم أو الصلصال، وقوالب الأجر المختومة، والتوابيت، والشواهد الجنائزية. والنذور، والتمائم ... الخ.

وتشمل دراسة علم الآثار مختلف المباني والأطلال والمنشآت من منازل وقصور ومسارح وحمامات ومعابد وزاقورات، ومقابر وأروقة وأسوار، المسلات والتماثيل واللوحات، وكل ما يعثر عليه في هذه المباني من تماثيل وصور وأوان وأدوات زينة وقراطيس البردي، ولذلك فإنه يدخل في مجال هذه الدراسة فنون العمارة والنحت والتصوير والفخار، وقد كان علم الآثار هو الدراسة التي تفرعت عنها دراسات عديدة متخصصة مثل دراسة النقوش ودراسة المسكوكات، وفي هاتين الدراستين يعتمد الباحث على ما يُعِده علم الآثار حتى وان خلت من الكتابة، فتعتبر مصدر لا غنى عنه في دراسة الحضارات القديمة، فهي تمدنا بمعلومات قيمة عن الفن والديانة والحياة الاقتصادية والاجتماعية للحضارات القديمة، بل وتعتبر مصدرا تاريخيا مهما، حيث تلقي أضواء كثيرة على الجانب العسكري والنظم السياسية أيضا.

ولا يتسع المجال في الكلام عن الآثار(monuments)، وهي موضوع دراسة علم الآثار(Archaeology) ، سواء أكانت مباني كالمعابد والمقابر والقصور والمنازل والحمامات (balnea) ، وأنابيب المياه المعلقة aquae) (ductus ومجاري تصريف المياه (cloacae) ، والمسارح والمدرجات، والحصون، والأسوار، والبوابات portae وأقواس النصر، والأعمدة، والنصب مما يدخل في باب فن المعمار (architecture) ، أم كانت تماثيل كبيرة أو صغيرة، كاملة أو نصفية، راجلة أو راكبة، أم زخارف بارزة أو نصف بارزة ، تدخل في باب فن النحت (Sclupture)، أم كانت رسوما وصورا تدخل في باب فن الرسم painting، أم كانت أواني وقدورا أو أدوات منزلية من الفخار (pottery) تدخل في باب الفنون الصغيرة minor arts جميع هذه الآثار، و إن لم تحمل أي كتابة.

2/ أهم المصادر الأثرية والمادية لدراسة الحضارات القديمة

2-1/ في حضارة بلاد الرافدين:

أدت أعمال الحفريات التي أجريت في العراق إلى الكشف عن مجموعات هائلة من الآثار المتنوعة، ما بين آثار ثابتة كالمعابد والقصور والمنازل والزاقورات وآثار متنقلة كالتماثيل وأدوات الزينة والأسلحة والأدوات المنزلية، فبفضل الأبحاث الأثرية تمكن العلماء والمتخصصين في المخلفات الأثرية من حلّ طلامسها وألغازها، خاصة تلك التي أقيمت في مدينتي أور ولجش (لكش)...، حيث عثر فيهما على خزائن ثمينة من الآثار المؤلفة من التماثيل والدمى والأواني والحلي والألواح التي دونت عليها الكتابات باللغة السومرية.

وكما ساهم علم الآثار في إثراء معارفنا حول تاريخ بلاد سومر، وأزال الغموض عن حضارتها، فالحفريات والأبحاث أتت بأنباء جديدة حول حضارات ما بين النهرين من خلال الأدوات الفخارية، عظام الحيوانات وبقايا تكشف ارتقاء الاقتصاد العراقي برسم خرائب القصور والمساكن البسيطة التي صورت لنا المدن القديمة التي أقامها العراقيون في التلال الأثرية وعلى ضفاف المسطحات المائية (الأنهار، الأودية..).

وتذكر الدراسات التاريخية أن هذه التلال التي حفلت بمخلفات الإنسان العراقي القديم اختلفت نوعيتها باختلاف العصور التي عاش فيها، ففي العصور الحجرية اقتصرت مخلفاته على بقايا أماكن استيطانه وآلاته وأدواته الحجرية، وبعض الدمى والرسوم التي نقشت على جدران كهوفه، في حين خلّف في العصر الحجري المعدني بعض الآلات والأدوات المعدنية إضافة إلى الأواني الفخارية ذات النقوش والزخارف المتنوعة.

كل هذه المخلفات الأثرية لعبت دورا كبيرا في تذليل الصعاب التي واجهت الباحثين المهتمين بدراسة بلاد الرافدين من السياسي والاجتماعي والاقتصادي..، وهو جعلها تشكل المادة الأساسية لدراسة مراحل عصور ما قبل الكتابة والتدوين نظرا لعدم معرفة الإنسان الرافدي للكتابة، لكن مع بداية عصر الأسرات أصبحت الوثائق والمدونات (المصادر الكتابية) من الأدلة الهامة التي يعتمد عليها الدارسون من خلال تزويدهم بمعلومات في مختلف الجوانب، وأطلق على هذه المرحلة بداية العصور التاريخية في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وأصبح من أهم مصادر الإنسان الرافدي في هذه المرحلة:

أ/ **النصوص المسمارية**: وهي تلك المدونة على ألواح الطين، والتي اختلفت أشكالها وأحجامها حسب نوعية النص الذي تحمله والفترة التي دونت فيها، كما دونت كذلك على الحجر والمعدن والخشب وتم الكشف عن الكثير منها في مدينة لجش، والتي تعود إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد، وأفادت هذه النصوص في التعرف على سلالة لجش وعلى أسماء حكامها وأعمالهم، وكذا التعرف على الحياة الاقتصادية في الدويلات السومرية وعلى الوضع السياسي في عصور فجر السلالات.

- **قوائم الملوك السومرية**: وتؤرخ بالألف الثانية قبل الميلاد، أي عصر فجر الاسرات، ودونت في الغالب في عهد سلالة أور الثالثة، وآخر نسخة تعود لعصر "ايسن –لارسا"، وتذكر هذه الوثيقة قوائم الملوك قبل وبعد الطوفان، فقط حكم قبل الطوفان ثمانية ملوك لمدة 241200 سنة؟، وبعد الطوفان حكمت الأسرة الأولى في "أور" لمدة 177 سنة، موزعة على أربع ملوك، وجاء في هذه القوائم إضافة إلى اسم المدينة والاسرة الحاكمة ثم اسم الحاكم، سنوات الحكم، الأحداث الهامة، الاحتفالات الملكية. غير أن ما يعاب عليها هو المبالغة في سنوات حكم الملوك خاصة قبل الطوفان، كما ذكرت السلالات بشكل متسلسل ومتعاقب على الرغم من أن هذه السلالات كانت في الواقع متعاصرة كليا أو جزئيا.

- **قائمة ملوك لجش:** وإن اقتصرت هذه القائمة على سلالة واحدة فقط ألا وهي سلالة لجش عكس قائمة الملوك السومرية التي ركزت على العديد من السلالات الحاكمة وقد تم الكشف عن هذه القائمة حديثا، والتي تمَّ نشرها عام 1967م، ويلاحظ عليها أنها لم تتضمن جميع حكام لجش المعروفة، وهو ما يفسر على أنه كان لمدينة لجش كتبة متخصصين في كتابة هذه القائمة الخاصة بها، ويحتمل أنهم رفضوا التسجيلات التي كتبها كهنة مدينة ايسن الذين كتبوا قائمة الملوك السومرية، والذين تعمدوا إغفال بعضهم دون الآخر، وهو ما كان سببا هو الآخر في تهميش وعدم ذكر بعض حكام المدينة الذين كان لهم دور كبير في تاريخها.
- **"نصب العقبان"**: المنسوب للحاكم "إي أنا توم"، وهي من بين أهم مصادر التاريخ السومري، ويتضمن مشاهد قتال وطرق القتال باستعمال العربات.
- **نصوص الحوليات الملكية الأشورية:** وتؤرخ بالألف الثالثة قبل الميلاد، وهي عبارة عن مخطوطات نذرية للآلهة، تتضمن أسماء الملوك وألقابهم وطبيعة علاقتهم بالآلهة، مع ذكر أحداث فترة حكمهم ومجمل أعمالهم تجاه الآلهة، ثم في مرحلة لاحقة أصبحوا يخلدون أعمالهم العسكرية ومجمل أعمال الملوك طيلة فترة حكمهم.

ب/ المكتبات القديمة المتواجدة في العراق: وما تحتويه من أرشيفات قديمة فضلا عن مكتبات أخرى هامة متواجدة خارج العراق، والتي زودتنا بمعلومات قيمة وثمينة عن تاريخها، وعلى هذا الأساس يشير الباحث نائل حنون إلى أن أقدم مكتبة للألواح السومرية هي **مكتبة مدينة سيبار** القديمة (أبو حبة حاليا في جنوب العراق)، وقد تم اكتشافها من قبل بعثة أثرية من جامعة بغداد برئاسة الدكتور وليد الجادر سنة 1986/1985م، وهي عبارة عن غرفة تحمل رقم 355 ومخصصة في مجمع معبد شمش، واحتوت على نصوص أدبية مدونة على ألواح طينية، ومن أهم نصوص هذه المكتبة: سلاسل من نصوص الفأل، تعاويذ التراتيل، مراثي ونسخ بعض الملاحم والأساطير: مثل ملحمة "أترا-خاسس" إضافة إلى بعض النصوص الرياضية والفلكية، ومجموعة من نسخ عن نصوص ملكية من عصور سابقة.

- ضف إلى ذلك، **مكتبة آشور بانيبال** التي تعتبر أهم مكتبة مكتشفة للنصوص المسمارية، وتمَّ اكتشافها في أواسط القرن التاسع عشر في نينوى، تحتوي على ألواح ونصوص سومرية قيمة تقدر بـ 450 قطعة طينية مختومة، وبعضها كانت تحمل نصوصا ورسائل واردة من مدينة أوروك، وكذا تقارير عديدة عن القادة العسكريين إضافة إلى نصوص أدبية.

2-2/ في الحضارة الفرعونية

عمل كتبة الملوك الفراعنة على تسجيل أخبار ملوكهم وحوادث عهودهم في أواخر الألف الرابع ق.م وكانت وسيلتهم التاريخية ذات شقين؛ عملوا من جهة على تسجيل حوادث كل ملك حدثا فحدث في بطاقات صغيرة من

العاج والخشب والأبنوس، فضلا عن "صلايات الاردواز" ورؤوس المقامع الكبيرة التي بدأوا استعمالها قبل بداية العصور التاريخية، ومن جهة أخرى عملوا على التأريخ لكل ملك بطريقة الحوليات على قطع البردي والجلود.

نصوص ورسائل تل العمارنة: عثر عليها سنة1887م في مدينة العمارنة (مصر)، واحتوت على مراسلات ملكية مكتوبة بالخط المسماري واللغة الأكادية على لوحات من الطين المجفف من أيام الملك "أمنحوتب الثالث" وابنه "اختاتون" خلال الفترة (1405-1350 ق.م) أي زمن الأسرة الثامنة عشر، وجسّدت في رسائل الوِدْ والسياسة المتبادلة بين فراعنة مصر وحكام العراق وفنيقيا في القرن 14 ق.م وسهلت هذه الوثائق التاريخية رسم صورة عن حياة الشرق الأدنى في تلك العصور مثل الصراع المصري الحيثي.

حجر بالرمو[1]: عثر عليه في منف، وقد دون فيه حوليات الملوك منذ أقدم العصور عصر الملك "نفراير كارع" ثالث ملوك الأسرة الخامسة (2450 ق.م)، ويعتبر هذا النص أول محاولة لجمع أخبار الملوك وترتيبها في العالم القديم.

قائمة الكرنك: تم الكشف عن النقيشة في سنة 1852م، وتعود لعهد "تحتومس الثالث" وقد نقشت على جانب معبده بأقصى مجموعة الكرنك، كان الملك "سنفرو" اول ملك يذكر مؤسس الأسرة الرابعة ثم يليه ملوك هذه الأسرة ثم ملوك الاسرة 5 و6، ثم يليها ملوك الأسرات من 11 إلى 17، ويتضح أن تحتومس الثالث سجل من الملوك من اعتقد في شرعيتهم وأغفل كثيرا من الملوك الآخرين وبخاصة ملوك عصر الانتقال فضلا عن ملوك من الغزاة الهيكسوس.

قائمة أبيدوس: نقشت في عهد "سيتي الأول" على جدران معبد أبيدوس، ويتصدر القائمة الملك "منى" وعددهم 72 اسما، ثم تغفل القائمة بعض الملوك الغير شرعيين من وجهة نظر كاتبها، منهم ملوك الأسرتين 9 و10 وملوك عصر الانتقال الثاني والملكة حتشبسوت وأخناتون وسمنخ.

قائمة سقارة: عثر عليها سنة 1861م بمنف لأحد رؤساء الأشغال ويدعى "ثونري" من عهد رعمسيس الثاني" ، سجلت في النصف الول من القرن الثالث عشر ق.م، وكانت تحتوي على 57 ملكا، تبدأ بسادس ملوك الأسرة الأولى (مر-بي- با) وتنتهي برمسيس الثاني، ولم تراعي الاقائمة الترتيب الزمني، كما أغفلت القائمة أسماء ملوك عصر الانتقال الأول والثاني وحتشبسوت وأخناتون ومن تلاه من عائلته، والملاحظ أن قائمة سقارة تكاد تكون مطابقة لقائمة "أبيدوس.

[1] سمي بهذا الاسم لأن هذا الجزء الأكبر من النص محفوظ بمتحف مدينة "باليرمو" في جزيرة صقلية، وهو لوح من حجر الديوريت بارتفاع 70 سم، عثر عليه في معبج "منف" منقوش على جانبيه بسطور رأسية، حيث بداية النص من الوجه الأمامي ثم يستمر في الوجه الخلفي، توجد القطعة في صقلية منذ 1859م، ونقلت للمتحف المحلي لباليرمو منذ 1877، كما توجد أربع أجزاء بالمتحف المصري بالقاهرة والقطعة السادسة في الجامعة بلندن.

بردية تورين: وهي محفوظة في متحف هذه المدينة بإطاليا، ترجع هذه البردية لعهد الملك "رعمسيس الثاني" حيث أوردت بعض الاسماء الملكية التي لم تذكرها القوائم الأخرى، وتبدأ بالالهة وأنصاف الآلهة يليهم بعد ذلك "منى" كؤسس للملكية المصرية حتى رمسيس الثاني في الاسرة 19، ومما يميزها أنها تصنف الفراعنة إلى مجموعات حسب المدن التي حكموا فيها مثل "فراعنة منف" في 955 عاما، وفراعنة العاصمة "إيثت –تاوي" في 213 عام، فضلا عن ترتيبها للملوك حسب سنوات حكمهم وتقسيمهم

تاريخ مانيتون[2]: كان آخر المؤرخين المصريين القدامى، وكان ملما باللغة المصرية القديمة واليونانية، كتب مؤلفه في سنة 280 ق.م، جاء الكتاب في ثلاثة أجزاء باليونانية، وقسم مؤلفه بعد حكم الآلهة إلى 31 أسرة من العائلات الملكية تبدأ بالملك "منى" وتنتهي بغزو الاسكندر المقدوني سنة 332 ق.م حكمت لمدة 3555 سنة، فلم يقتصر هذا الاكتاب على الأمور السياسية بل أرخ للحياة الاجتماعية أيضا.

لوحة الأنساب: عثر عليها في "منف" وهي من الحجر الجيري موجودة الآن في متحف برلين تحت رقم 33673 وتعرف باسم "لوحة الأنساب"، لأنها تحتوي على قائمة طويلة بأسماء كبار كهنة "منف" (ذكر فيها 60 كاهن" الذين ينتمون إلى أسرة واحدة وهي "عنخ –إف–إن سخمت"

مصادر مادية أخرى: هذا وتمثل نصوص الأهرامات وأوراق البردي، مصدرا أساسيا في دراسة تاريخ مصر القديمة، لما جاء فيها من معلومات عن مكونات الادارة والقضاء وأخبار الحروب وحدود الأقاليم والمدن وما يعبد فيها من أرباب، وأخبار المعبودات المصرية وعقائدهم في الحياة الأخرى، ثم آداب المصريين من شعر ونثر وعلوم، كما يوجد نجد أيضا الأساطير والقصص التي تناقلها المصريون على مر الزمن وسجلوها على البردي، ومنها نذكر "أسطورة ازيس" و"أوزيريس"، قصة "خوفو السحرة" التي تتصل بأوضاع سياسية أدت لتولي الكهنة من ملوك الأسرة الخامسة مقاليد الحكم، و قصة "سنوحي" التي تلقي الضوء على الحوادث التي جرت في مطلع الأسرة 12 حيث تصور حالة البلاد السياسية والاقتصادية والحربية، أما قصة "وينامون" التي تعود للأسرة 20 فهي تشير إلى ضعف مصر الخارجي حينها وتناقص سلطانها.

ثانيا / المصادر الأدبية الكتابية (المصادر الكلاسيكية)

خلف لنا المؤرخون اليونان والرومان عدة كتابات عن الحضارات القديمة وطبيعة أحوالها وشعوبها، غير ما يعاب عليهم في مواضع كثيرة هو افتقار الموضوعية مع سيادة روح التعصب واعتمادهم على الروايات والتركيز

[2] مانيتون مؤرخ مصري قديم من مدينة "سمنود" كان كاهنا في معبد "سبينيتوس"، ذلك في عهد بطليموس الأول إلى عهد "بطليموس الثالث"، وفي فترة "يطليموس الثاني" (285–246 ق.م) كلف بكتابة تاريخ مصر القديمة وقد أخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه حوالي 305–280 ق.م.

على الأساطير والروايات المنقولة، مع عدم معرفتهم للغات القديمة، لذا وجب علينا اخذ الحيطة والحذر منها في كثير من الحوادث التاريخية الواردة فيها.

1/ المصادر الأدبية الخاصة بحضارتي بلاد الرافدين ومصر الفرعونية

- **هيكاتوس المليتي Hecataeus**: من مواليد جزيرة "ميليتوس" اليونانية بآسيا الصغرى، له عدة مؤلفات منها "رحلة حول العالم/ البحر"، "الأنساب"، ففي الكتاب الأول وصف " آسيا الصغرى، سوريا، العراق، فارس، مصر"، وذكر قائمة "حكام آشور"، زار مصر في القرن السادس قبل الميلاد وجمع مشاهداته وقصص عصره في مؤلف سماه "رحلة حول البحر"، وقيل أنه ضمنه خريطة لرحلته زثبت عليه البلاد التي زارها لكن ضاعت كلها مؤلفاته، ونقلا عن مؤرخين لاحقين له فقد تناول فيضان واجي النيل ومشكلاته وتكوين الدلتا وعن الحيوانات واصفا بدقة الحياة الزراعية.

هيرودوت Herodotus: ولد بمنطقة "هاليكارنسوس"[3] في حدود منتصف القرن 5 ق.م "455-460 ق.م"، يعتبر كتابه "**التاريخ**" من بين أهم المؤلفات التاريخية عبر العصور، سماه شيشيرون "بأب التاريخ" باعتباره أول من عالج التاريخ باعتباره موضوع بحث علمي، فقد خصص هيرودوت جزء كبير من كتابه لتاريخ الفرس أعداء اليونان، حيث درس جغرافية الإمبراطورية الفارسية وحروبهم، كما استعرض فكرة عامة في الكتاب الأول عن الحروب الميدية وتحدث عن نشأة قورش واعتلائه العرش، وفي الكتاب الثاني والجزء الأول من الكتاب الثالث تحدث عن تاريخ مصر حتى حملة قمبيز من خلال زيارته لها التي استمرت 4 أشهر، كما تناول جغرافيتها ومدنها والحوادث التاريخية التي مرت بها وأعمال ملوكها ومظاهر الحياة فيها دون تدقيق وتمحيص، وكذا وصف المعابد والأعياد الدينية التي تقام لبعض الآلهة، وفي الكتاب الرابع كتب عن سكيثيا والسكيثيين وتحدث عن حملة داريوس على تلك البلاد ثم غزواته في افريقيا، وفي الكتاب الخامس كتب عن تراكيا وخضوعها للفرس وعن الثورة الأيونية ضد الفرس وأخيرا عن الأحوال في أثينا واسبرطة في تلك الآونة، وفي الكتاب السادس كتب تطور الحروب الميدية -بين الإغريق والفرس- وفي السابع سجل موت داريوس وحملة أكسركسيس على بلاد الإغريق وفي الثامن عن الفترة التي فصلت بين معركة ثيرموبيلاي وانتصار الاغريق في سلاميس، كما وصف عادات شعوب الشرق الأدنى ومدينة بابل وهندستها المعمارية.

كما تحدث هيرودوت عن موقع بلاد العرب وتربتها وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وملابسهم وطرقهم في البحر، كما تحدث عن منتجاتهم، ولكن ما يعاب عليه هو اعتماده على الرواية الشفوية.

---

[3] هاليكارنسوس مدينة جنوب غرب آسيا الصغرى، كانت في أيام انتشار الحضارة الاغريقية مقرا لحكم الملك الكاري موسولوس Maussolos من 377-353 ق.م، وكانت هاليكارنسوس وكوس وكنيدوس بالإضافة إلى مدن رودس الثلاث تمثل المدن الدورية الستة والتي كانت منافسا للمدن الأيونية التي كانت تقع إلى الشمال منها.

هيكاتوس الأبديري Hecataeus of Abder : مؤرخ يوناني من مستوطنة "أبديرا" في بلاد اليونان، زار مصر في اوائل الحكم البطلمي حوالي 300 ق.م، كتب كتابا مفقودا عن مصر بعنوان "دراسات مصرية Aegyptiaca" تحدث فيه عن العقائد والأساطير المصرية.

زينوفون Xenophone(430–355ق.م): كتب ذكرياته عن العراق في مصدره "أناباسيس"Anabasis " والمتكون من سبعة أجزاء بعدما زار المنطقة في حملته مع المرتزقة اليونانيين الذين قادهم قورش الصغير، أين عمل كمرتزق في جيوش الفرس، وقد وصف وصفا مفصلا للمناطق التي تمكن من الوصول إليها بعد المعارك الكثيرة التي قام بها وجغرافيا الطبيعية للمنطقة ، كما كتب عن تاريخ الإغريق، وتضمنت كتاباته موضوعات مختلفة : سياسية، اقتصادية، اجتماعية وعسكرية، كان ملما بالسياسة والاجتماع، وهذا ما تم توضيحه من خلال مصدره "**حكومة أثينا**" و"**حكومة اللاكديمونيين**" الذي يتناول فيه دستور أثينا.

بالإضافة إلى كتاب "**هينيكا أو التاريخ الهيلليني Hellenica**"[4] والذي يعتبر بمثابة السجل المعاصر والوحيد للفترة ما بين 411– 362ق.م، كتبه في كورنثة 362 ق.م، ويشمل جزأين منفصلين، حيث يتناول الجزء الأول الأحداث التاريخية التي توقف عندها المؤرخ ثيكوديديس أي سنة 411 ق.م، ويسرد التاريخ حتى سقوط الثلاثين، وحالة أثينا حين سمع الناس بمأساة ايجوسبوتامي، بينما الجزء الثاني يتناول الفترة الممتدة 401–362 ق.م ويسرد تاريخ الاسبرطيين، وتزعم طيبة لبلاد الإغريق، وأيضا النصوص التي دونت في كتيب أخر يحمل عنوان "**الإيرادات**"، ويشير فيه للإجراءات التي يمكن لأثينا بأن تتخذها للخروج من الأزمة الاقتصادية بعد حروب البولوبونيز، والاعتماد على مداخلها ومواردها الخاصة مثل: الموارد الطبيعية، موارد الأرض، الموارد البحرية، ورفض بالمقابل الاستحواذ واستغلال موارد الحلفاء، لكن لغته وأسلوبه وتحليله كانت أقل بكثير من حيث التميز والجودة والإجادة من ثيكوديديس، فضلا عن كتاب "**الذكريات**" الذي يدافع فيه زينوفون عن "سقراط"، وكتاب "**تربية قورش**"، "**المدير لشؤون الضيعة**"، إلى جانب "**النظم المالية**" و"**الفروسية**".

–سترابون (64 ق.م–24م): ولد في "أماسيا" في اقليم "البونتس" حوالي 64 أو 63 ق.م، خلف كتاب في "الجغرافيا" في 17 جزء، خصص الكتاب الأول والثاني للتعريف بالأهداف والوسائل الخاصة بهذا المؤلف، أما الكتاب الثالث فخصصه لإسبانيا والرابع لبلاد الغال وبريطانيا وجبال الألب، والخامس والسادس لايطاليا وتاريخها، والسابع لشعوب بلاد النوبة والثامن لشبه جزيرة المورة، والتاسع لأثينا وما حولها، والعاشر لبقية اليونان، والحادي عشر لجبال طوروس، بحر قزوين، الثاني والثالث والرابع عشر لآسيا الصغرى، والخامس عشر للهند وبلاد فارس، أما

[4] Xenophon, Hellinica "On Greek poetry, philosophy, history and religion, trad. Evelyn abbott, sec. Edi. Longmans, Green and Co. London, 1898.

السادس عشر فخصصه لبلاد سوريا وما بين النهرين وفلسطين وشبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر، وفيه تحدث عن حملة "إيليوس جالوس" على شبه الجزيرة العربية، وعن الخطوط التجارية البرية والبحرية، فضلا عن حديثه عن نظام الحكم الذي يسود بعض المناطق العربية والعلاقات التي تربط أقوام المنطقة، وفي الكتاب السابع عشر تحدث عن الساحل الافريقي حتى المحيط الأطلسي.

زار بلاد بابل ووصفها كمدينة مخربة ومهدمة باعتماده على مخلفاتها الأثرية الباقية من نقوش ونصوص بالرغم من اهتمامه الجغرافي بالدرجة الأولى حيث تميزت كتاباته بنوع من الجغرافية التاريخية بوصفه بلاد مابين النهرين فضلا عن وصفه لاستغلال المياه في الزراعة وكيفية سحبه في القنوات المخصصة إلى الأراضي الزراعية، كما تحدث عن أهمية المنطقة من الناحية الطبيعية والتجارية والاقتصادية مثل مدينة نينوى...، حتى أنه ذكر عادات السكان المشابهة نوعا ما إلى طبائع الفرس بسبب امتداد منطقة الأهواز في كل من ايران والعراق...

أما مصر التي زارها سنة 25 ق.م وأقام بها 5 سنوات فقد تحدث عنها في الجزء 17 من مؤلفه، ووصف النيل ومصر واهتم كثيرا بالدلتا، كما قدم لنا تفصيلات عن المباني والعبادات، أما ملاحظاته على التاريخ والعادات الدينية فخاضعة للنقد.

- **بلينوس الأكبر C. Plinius Secundus** "23م-79م": كان بلين عالما موسوعيا في مختلف العلوم العسكرية، التاريخ، التعليم واللغة، ولم يبقى من مؤلفاته البالغة 102 إلا "موسوعة التاريخ الطبيعي Naturalis Historia" التي تقع في 37 كتابا، وتبحث في علوم الجغرافيا، الأجناس، السلالات البشرية ووظائف الأعضاء وعلوم الحيوان والنبات والصيدلة والمعادن والتعدين.

خلّف المؤرخ الروماني بليني الأكبر أضخم مجلد أو بالأحرى موسوعة قيّمة عن جغرافية العالم وأحواله، والذي لم يترك فيه ناحية إلا وناقشها، وأما اهتمامه عن بالشرق الأدنى فقد انصب في وصف نهري الدجلة والفرات وتتبع مجاريهما من جبال طوروس إلى جبال أرمينيا والمعابر التي تمر بها الروافد النهرية حتى إلى غاية الحدود السورية وإقليم سيليسيا، كما ذكر أسماء بعض المدن العراقية القديمة والتي تقع على ضفاف الأنهار خاصة تلك التي تقع على ضفة الفرات مع تقدير مسافات البعد والقرب ،مع ذكر أسباب تقدمها وتطورها ، أما حديثه عن بلاد العرب فقد أسهب في ذلك من خلال تناول جغرافية المنطقة ومدنها وسكانها وطرق التجارة والمسافات بين المراكز التجارية بين جزيرة العرب والبلدان المجاورة، كما تحدث عن منتجات المنطقة من لبان، تمر، عطور، قرفة فضلا عن المحاصيل الزراعية وطرق جمعها.

وبالرغم من كتابات هؤلاء المؤرخين عن بلاد الرافدين ،إلا أنها ظلت تشوبها بعض الأخطاء والروايات ،نظرا لاعتمادهم على القصص والأساطير التي كانت متداولة بين الناس فقط ،واقتصار أخبارهم على وصف أحوال العراق وقت زيارتهم، والآثار التي كانت قائمة فيها .

ديودور الصقلي Diodorus: مؤرخ إغريقي عاش في القرن 1 ق.م، تناول تاريخ العالم في مؤلف عرف باسم "**المكتبة التاريخية**"، يقع في أربعين جزءا وقد بدأ مقدمته بتاريخ العالم منذ العمود السحيقة، وكان كتابه الأول من مصر التي زارها سنة 59 ق.م وتناول أوضاعها السياسية والاجتماعية والدينية، وكان أكثر إنصافا وفطنة من هيرودوت في تفسير عقائدهم وأساطيرهم، والكتاب الثاني عن بلاد الرافدين، والهند وبلاد العرب، والثالث عن شمال أفريقيا والرابع إلى السادس عن اليونان وأوربا، أما كتبه من 17-7 فقد غطى فيها الأحداث منذ حرب طروادة حتى الاسكندر الأكبر، والكتب من 18- 40، فقد غطى فيها أحداث حلفاء الاسكندر حتى عهد قيصر.

ولم يصل إلينا من هذه الأجزاء إلا الخمس الأولى والأجزاء من الحادي عشر حتى العشرين، أما باقي الأجزاء الأخرى المفقودة فقد وصلت إلينا منها مقتطفات أوردها مؤرخين آخرين، ولعل ما يهمنا من كتابه هو الأجزاء الكاملة من 20-11 وهي تسرد أحداث الفترة الواقعة بين عامي 840 و 302 ق.م، ولعله من الواضح أن هذا السرد يسد في تاريخ القرن الخامس قبل الميلاد بعض الثغرات التي تركها كتابا هيرودوت وثكيديديس عن الحرب الفارسية والحرب البولوبونيزية ، كما أنه يشمل تاريخ القرن الرابع قبل الميلاد بأكمله، وبالتالي فكتاب ديودور الصقلي يمتاز على الكثير من المصادر بحسن عرضه لآراء من سبقوه وبدقته ونزوعه إلى البحث عن الحقيقة.

3/ المصادر الدينية والكتب اليهودية الخاصة بالحضارات القديمة

1-المصادر الدينية :

تعتبر الكتابات السماوية من المصادر المدعمة لدراسة تاريخ حضارات الشرق الأدنى، لما خلفته من معلومات ذات قيمة تاريخية، وكذا من قصص دينية التي تتصل بتاريخ بلاد النهرين وحضارتها، وشملت هذه الكتب السماوية كل من التوراة والقرآن الكريم.

- **التوراة:** يدل مصطلح التوراة المقدس على الأسفار الخمسة الأولى[5] من كتاب العهد القديم، وهو كتاب اليهود المقدس، ويضم العهد القديم 39 سفرا غير أن مصطلح التوراة استخدم في المصادر العربية للدلالة على جميع أسفار العهد القديم، ويذكر المؤرخون أنها دونت في القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد أي أثناء وبعد السبّي البابلي.

[5]تعتبر الأسفار الخمسة الأولى في التوراة بمثابة سجلات تاريخية أرخت لكل فترة زمنية مرت بها التوراة واكتسب كل سفر من هذه الأسفار طابعه الخاص الذي ميزه عن بقية الأسفار في كثير من الأمور وهذه الأسفار تتمثل في؛ سفر التكوين ،سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية

وتبقى التوراة مصدر لابد من التعامل معه بحذر وتوخي الحيطة نظرا لامتداد يد التحريف إليه من طرف كتبة التوراة الذين تحدثوا في العديد من أسفارها على الكثير من الأحداث التاريخية التي جرت في بلاد النهرين من ذكر الأخبار التي خصت ملوك آشور وبابل والأماكن الهامة، بحكم تواجد بعضهم شهودا على أحداث عاصروها في بلاد الرافدين مثل: النبي دانيال الذي يعتبر من كتبه التوراة المهمين، والذي ألحق بالبلاط البابلي واعتبر أسيرا فيه، وبذلك ترك لما كتابات غنية عن سقوط بابل إضافة إلى النبي حزقيال الذي تحدث عن المخلوقات العجيبة والحيوانات المستغربة وهي كلها مستوحاة من المنشآت العملاقة التي كانت تزين بها بلاد وجدارنها.

وبالرغم من معاصرة بعضهم لهذه الأحداث التاريخية إلاّ أنهم لم يضعونا بصورة موضوعية تعكس بشكل واضح ما أنجزته بلاد الرافدين سواءً من الناحية الفكرية أو المادية بقدر ما اكتفوا بتأكيد الدور الإلهي في مجرى الأحداث التاريخية، وأن سقوط بابل وآشور يرجع إلى العدّالة الإلهية.

ويرجع الباحثون سبب تخلي اليهود عن نقل الأحداث التاريخية بطريقة موضوعية إلى العدّاء الذي كان يُكنه كتبة التوراة للأقوام العربية القديمة وبالأخص تحيزهم ضد العراقيين القدامى الذين قاموا بسبيهم منذ القرن السادس قبل الميلاد، وقضائهم على مملكة يهوذا، ولهذا تكوّن لديهم نوع من الحقد على الآشوريين والبابليين، وبالتالي جاءت توراتهم فيها كثير من الخلط والتزوير.

وبالرغم من ذلك، فقد لجأ إليها العديد من المؤرخين للتعرف على الأحداث الكبرى التي عرفتها المنطقة ومن أبرزها حادثة الطوفان التي تناقلها كتبة التوراة حتى أصبحت جزءًا من عقيدتهم، وهي تتفق إلى حد ما في بعض ملامحها مع قصة الطوفان السومرية والبابلية خاصة من ناحية إعلان الطوفان الذي جاء من جبهة إلهية، غير أنها تختلف في كيفية إيصال الخبر، حيث رأى بطل القصص البابلية اوتنا بيشتم حلما يخاطبه الإله فيه "أبا" من وراء جدار كوخه المصنوع من القصب، ويكشف له سِرْ الآلهة، وهو نفس الشيء مع بطل القصة السومرية الذي يدعى زيوسودرا الذي رأى بدوره حلما غريبا، فأخذ يتضرع للآلهة عسى أن تظهر له معناه، ثم سمع صوتا يأمره بالوقوف خلف الحائط ليتلقى من خلاله رسالة الإله، بغية الوصول في ذلك إلى قرار حكيم.

فضلا عن ذلك ورد في التوراة أن الإله اتصل مباشرة مع نوح وأمره ببناء فلك كبير، كما ورد فيها أيضا قضية سبي اليهود من طرف الملك نبوخذ نصر الثاني الذي هاجم أورشليم –عاصمة يهوذا– في عام 587/588 ق.م وتشديد الحصار عليها وتدميرها عام 585/586 ق.م، كما حرق هيكل سليمان ونقل خزائنهم ونفي 40 ألف من اليهود إلى بابل هذا وتحدثت التوراة عن أمور الحياة في مصر، وعن علاقة الفراعنة ببني اسرائيل فضلا عن الحديث عن أنبياء بني اسرائيل ذوي الصلة بمصر.

أما ما ذكر في التوراة عن العرب، فقد جاء ذلك في أسفار "التكوين، الخروج، العدد، يوشع، صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني والمزامير وأشعيا وأرميا وحزقيال والمكابين الأول والثاني"، وذلك في اطار الحديث عن العلاقة الاقتصادية بين القبائل العربية واليهود العبرانيين، او في اطار الحديث عن مملكة بلقيس وقبيلة سبأ.

- **القرآن الكريم:**

هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد اختار الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر العرب ليكون حامل لواء الدعوة إلى هذا الكتاب العزيز رحمة للعالمين، وتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وصيانته من التحريف والتزوير ويعتبر القرآن الكريم من أهم المصادر التاريخية وأصدقها وأصحها على الإطلاق فهو موثوق السند، ولا سبيل للشك في نصوصه وقصصه القرآنية بأي حال من الأحوال، لأنه ذو مصداقية تاريخية لا تقبل الجدل.

فالقصص القرآني تضمن أبناء وأحداث لا تلتبس بشيء من الخيال والوهم، حيث ذكرت العديد من القصص والأحداث التي ارتبطت بالشرق الأدنى القديم خاصة عن الحياة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا عن أحوالهم ومعتقداتهم الفكرية، ومن بين هذه القصص وأبرزها قصة نوح عليه السلام، وما ورد في القرآن الكريم حول قصة الطوفان في سورة كاملة هي سورة نوح فضلا عن ذكره في مواضع متفرقة من القرآن الكريم من سورة النساء والأنعام والشعراء وإسرائيل....

ويجيب الله تعالى دعوة النبي الكريم، فيأمره أن يصنع الفلك: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفارَ التَّنَوِرَ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلُكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلَ، وَمنْ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلَ...» (سورة هود، 40).

وبذلك فإن قصة الطوفان قد تناولها القرآن الكريم بما يتفق مع أغراض القصص القرآني دونما حاجة إلى تفصيلات، لكن فيما بعد حاول المفسرون والمؤرخون الإسلاميون تفسيرها معتبرين بأن بالكوفة مسجدا صغيرا محلقا عليه أيضا بأعواد السياج، وهو الموضع الذي فار منه التّنور إيذنا بطوفان نوح، بينما خلف المسجد فضاء متصل بالجدار القبلي الذي يعتقد أنه موضع إنشاء السفينة.

كما أشار القرآن الكريم إلى الكثير من المعتقدات الدينية والحقائق الفكرية والتاريخية وأبرزها قصة إبراهيم عليه السلام الذي يعتقد أن مسقط رأسه أور"Ur"، وأنه هاجر منها في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد باتجاه الغرب، وبذلك تبقى المصادر الدينية من أهم المصادر الخاصة بدراسة تاريخ العراق القديم في ظل الأبحاث والتحريات القائمة عن هذه القائمة إلى حد الآن، ورغم ذلك يبقى الكثير منها غامضا، وأسرارها غير مكتشفة، وتعِد بالجديد إلى حد الساعة.

الكتابات اليهودية

التلمود: يندرج التلمود ضمن الأدب الديني اليهودي، والذي أشار إلى المعاملات بين العرب والعبرانيين في غرب سيناء، وإلى العقائد والعبادات.

كتابات المؤرخ اليهودي "يوسف بن متى[6]": له كتاب بعنوان "تاريخ عاديات اليهود أو آثار اليهود" وآخر بعنوان "الحروب اليهودية" وكان باللغة الآرامية في سبعة أجزاء، وكتاب "تاريخ اليهود القديم" في 20 جزءا

[6] اسمه الكامل يوسيفيوس فلافيوس، ولد في أورشليم سنة 37م وتوفي ما بين 98-100م، كان له دور كبير في الدفاع عن الأحبار واليهود في روما، شارك في ثورة اليهود والتي انتهت بأسره، غير أن القائد الروماني "فيسباسيان" أفرج عنه ومنحه حق المواطنة الرومانية، وفي روما كتب عدة كتب.